حول الوحدة والتقريب

والعلاقات بين الإمام الصادق والإمام أبي حنيفة معروفة وكذلك مع الإمام مالك الذي نقل كيفية حجّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه، وشعر الإمام الشافعي في أهل البيت مشهور وقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل الحديث المعروف بسلسلة الذهب المروي عن الإمام الرضا (ع) عن آبائه بأسمائهم وذلك حين مرّ بنيسابور وهو: (كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي) وأردف قائلاً (بشروطها)، نقل الحديث الإمام أحمد ثم علّق عليه بقوله: (لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته).([208]) إننا اليوم نرجو ـ بكل حسرة ـ أن يعود حالنا في التعاون كحال أئمتنا. ولا ننسى هنا أن نذكر بأن المذهبية ـ كما أكدنا ـ كانت خيراً كبيراً ما دامت تعبر عن غنىً علمي، ولكن العوامل الكثيرة كالجهل، والتعصب المقيت وعدم التأدب باداب الإسلام في الحوار، وأهواء الحكام الطغاة، وغير ذلك حولت المذهبية الى طائفية متعنتة، وتصادمية عمياء، سالت على أثرها الدماء والدموع. يقول أحد الكتاب المعاصرين: (ولم تكن السلطات الحاكمة بعيدة عن إثارة الصراع وتأجيجه ممّا يتوافق وسعيها للتحصين بالاصطفاف وتمتين اواصرها بين السكان المحليين.. ولم تقتصر على السنّة والشيعة فحسب. إذ تكررت الحوادث بين الحنابلة وكل من الأشاعرة والحنفية والشافعية والمالكية). ويضيف: (وفي تزاحم تلك الصراعات سلطت حرب الارهاب الفكري على المبدعين ومن نماذجها ما حدث عندما توفى محمد بن جرير الطبري عام 310 هـ فقد دفن بداره ليلاً لأن العامة منعت من دفنه نهاراً).([209])